1-النظام التربوي في الجزائر في فترة الاحتلال

لقد ظهرت عدة قوانين وتشريعات لتنظيم التعليم في بلادنا وذلك منذ القدم أي منذ أن عرفت تنظيمات اجتماعية وسياسية وكذلك قبل الاحتلال وأثناءه وبعده، أي مع استرجاع الجزائر لاستقلالها فالتاريخ يخبرنا أن التعليم بالجزائر مر بعدة مراحل أهمها:

قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر:

كان التعليم منتشرا بين أبنائها على مختلف أصولهم، حيث الكتاتيب والمساجد التي تلعب دوراً كبيراً في الحفاظ على الهوية الإسلامية للشعب فكان الطلاب والمريدون يجلسون بالمساجد حول العلماء يتلقون عنهم شتى أنواع العلوم، الدينية منها والدنيوية من أدب وبلاغة ورياضيات.وعلم الفلك وغيرها من العلوم.

أما التقسيم في المنظومة التربوية فكان يخضع لمدى قدرة التلاميذ والطلاب على الاستيعاب فالتلاميذ الصغار يدربون على حفظ القران وتعلم الكتابة، وبينما الأكبر سنا ممن يسمون حالية بتلاميذ الثانويات وكذلك الطلاب الجامعيين فإنهم ينتسبون إلى المساجد والزوايا عند كبار المشايخ حيث كانت برامجهم تشمل علاوة على علوم الشريعة كالقرآن والسنة واللغة العربية والبلاغة والفلسفة والتاريخ والجغرافيا والرياضيات وعلم الفلك وغيرها.

تميزت المنظومة التربوية في الجزائر في عهد الاحتلال بمرورها بعدة مراحل.أولها:

- **من 1830-1880:**

تميزت بالطابع الحربي الذي يعكس اهتمام المستدمر بفرض نفوذه و سيطرته على أراضي الجزائريين و تهجيرهم منها و من أهم السياسات التي استخدمتها في ذلك هو ضرب دعائم و مقومات الشخصية الوطنية للشعب الجزائري، حيث كان التعليم هو المدخل الأساسي لتحقيق هذه الأهداف المشبوهة.

في نهاية الأربعينيات من القرن التاسع عشر. و في مرحلة موالية أي بين 1850-1880، ترددت الحكومة الفرنسية في فتح المدارس للجزائريين و في اختيار لغة التدريس العربية أم الفرنسية أم اللغتين معا، حيث مدارس في بعض المدن استقبلت عددا محدودا من التلاميذ بينما أسست و بنت لأبناء المستوطنين المغتصبين مدارس في جميع المدن و القرى حتى النائية منها و على الرغم من الرغبة التي أعلنها الإمبراطور نابليون الثالث في احترام الشخصية الجزائرية بتعليم مبادئ الدين الإسلامي و اللغة العربية بجانب الفرنسية، إلا أن معارضة المعمرين الأوروبيين قلل من هذه المدارس لأنهم كانوا يرون أنهم أولى بالميزانية المرصودة لتلك السياسة التربوية.

أما من جهة الجزائريين فقد كانوا يحتقرون هذا النوع من التعليم ولا يسمحون لأبنائهم وبالخصوص لبناتهم بارتياد هذه المدارس خوفا على ذوبان شخصيتهم الجزائرية المسلمة مفضلين الزوايا والكتاتيب.

- .أما **المرحلة الثانية** و التي تنحصر بين **1880 و1930** فقد ظهرت في بدايتها نزعة جديدة ترمي إلى تعميم التعليم في الجزائر وحطت وزارة التعليم الفرنسية تنظيما جديدا يتبع التعليم في فرنسا وفقا لسياسة الادماج التي أعلنتها الحكومة الفرنسية. فأمرت بتطبيق قانون 12 جوان 1881 المتعلق بمجانية التعليم. وكذلك قانون 28 مارس 1882 المتعلق بإجبارية التعليم الابتدائي وكذلك قانون 28 مارس 1882 المتعلق بتنظيم مراحل التعليم الساريين المفعول على التراب الفرنسي. وكانت من نتائجه زيادة أعداد المدارس والتلاميذ ولكن نسبيا حيث لم يبلغ 2% فقط ممن هم في سن التمدرس. وعلى الرغم من القوانين المتخذة في فرنسا والتي تنص على المساواة إلا أنها لم تطبق في الجزائر ومع نهاية القرن 19م كانت نسبة التمدرس 8,3% لدى أبناء الجزائريين بينما كانت 84% من أبناء الأوروبيين. وكان أهم سبب لذلك التعثر هو معارضة المعمرين لتعليم الأهالي وكذلك توفير ميزانية فتح المدارس وتعميم التعليم على الجزائريين.

لقد كانت اللغة العربية تدرس في الثانويات كلغة أجنبية مثل اللغة الإنجليزية والألمانية والإسبانية من طرف أساتذة أغلبهم فرنسيون وبطريقة تتنافى وطرق تدريس اللغات، حيث كانت تعطى قواعد اللغة بالفرنسية، وكان مدرسوها يستخدمون المصطلحات الفرنسية وفي كثير من الأحيان الحروف الفرنسية (اللاتينية).

و من جهة أخرى فإن الحكومة الفرنسية كانت قد فتحت سنة 1880 ثلاثة معاهد في كل من الجزائر، تلمسان و قسنطينة، و الغاية الرسمية منها تكوين بعض الجزائريين لوظائف معينة كأعوان سلك القضاء، أما الغاية الحقيقية من هذه المعاهد هي إبعاد الجزائريين (التلاميذ) عن الزوايا و المساجد و كانت مدة الدراسة فيها 4 سنوات حيث توفر للتلاميذ دراسة اللغة العربية و الفرنسية و الرياضيات، العلوم، التاريخ و الجغرافيا و مبادئ النظم الإدارية، وتمنح لهم شهادة نهاية الدراسات للمعاهد، ثم يلتحق بعضهم بالقسم العالي في الجزائر العاصمة و بعد سنتين تختتم الدراسة بمنحهم شهادة الدراسات العليا حيث يسمح لحامليها أن يشتغل كقاضي أو مدرس و بعض الوظائف الأخرى و كان عدد تلاميذ هذه المعاهد لا يفوق 150 تلميذ سنة 1930.

المرحلة الثالثة 1930-1962:

بعد 1930 وبعد احتفال الفرنسيين بالمئوية لوجودهم بالجزائر وتمجيد إنجازاتهم في جميع الميادين. أصبح عدد المدارس والتلاميذ يرتفع ووضعت الحكومة الفرنسية بعد الحرب العالمية الثانية تخطيطا يهدف إلى تعميم التعليم لفائدة الجزائريين بصفتهم فرنسيين مسلمين، كما قررت تطبيق قانون 1882 الذي ينص على التعليم الإجباري.

بعد اندلاع الثورة التحريرية ضاعفت الحكومة الفرنسية جهودها لإبعاد الشباب عن الثورة فأسست سنة 1955 المراكز الاجتماعية التربوية الخاصة بالشباب. في سنة 1958 أصدرت قانونا جديدا حول تعليم المسلمين ووضع خطة تخطيط أخر يهدف إلى تعميم التعليم في مدة ثماني سنوات فأنجزت عدة مدارس إنتدبت كمعلمين حاملوا شهادات التعليم المتوسط، حيث أن لغة التدريس غالبا ما كانت الفرنسية على الرغم من أن قانون 20 سبتمبر 1948 اعتبر اللغة العربية لغة من لغات الاتحاد الفرنسي يجب تدريسها في جميع المستويات.

والملاحظ أن المعاهد الثلاثة المشار لها سابقا حولت إلى ثانويات فرنسية إسلامية ثم إلى ثانويات وطنية سنة 1959، بينها القسم العالي في الجزائر العاصمة أصبح يسمى "معهد الدروس العليا الإسلامية". لم تكن هذه المدارس فقط وهي التي تعمل على محو الشخصية الوطنية وتعويضها بشخصية أخرى هجينة بل عملت مؤسسات أخرى على تحقيق هذا الهدف. وتمثلت أهمها في المدارس المسيحية التي أسست سنة 1878، التي كان هدفها سيطرة الفرنسيين المسيحيين وهو نوع من التعليم التبشيري انتشر في العديد من مناطق الجزائر شرقا وغربا، جنوبا وشمالا. وكان هذا النوع من التعليم التبشيري والسياسي مدعما من السلطات الفرنسية في حين أن هناك مؤسسات تعليمية ساهمت بشكل كبير في الحفاظ على مقومات الشعب الجزائري من الاندثار تمثلت في الزوايا والكتاتيب القرآنية التي على الرغم من بساطة هيكلها قامت بدور كبير في التعليم وتربية أبناء الجزائريين وتلقينهم مبادئ دينهم ولغتهم، وكانت منتشرة في جميع أنحاء الجزائر. وبعد اتمام قسط من التعليم بهذه الكتاتيب والزوايا ينتقل الشباب الجزائري إلى الزيتونة أو القرويين أو الأزهر لمواصلة نيل العلم والمعرفة.

وجاءت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لتنقذ الجزائريين من الذوبان في هوية المستعمر فبعد تأسيسها في 1931 بدأت في فتح مدارس حرة عن طريق تبرعات الجزائريين المسلمين. وكانت هذه المدارس تُلقن جميع المواد باللغة العربية من طرف معلمين جزائريين، فأقبل الكثير من التلاميذ عليها حتى وصلوا إلى 4500 تلميذ في 150 مدرسة. وكانت خاصية جمعية العلماء أنها أولت اهتماما كبيرا بتعليم الفتيات. وكانت الجمعية ترسل بعثات للمشرق لطلاب الثانويات للاستزادة

من العلم والعودة للجزائر لمباشرة التكوين ونشر العلم والتعليم لأفراد المجتمع الجزائري. هذا العمل لم يرضي الفرنسيين الذين عملوا على إعاقة عملها بحيث أغلقت عدة مدارس خصوصا أثناء الحرب العالمية الثانية بحجج واهية. هذا فيما يخص المرحلة قبل الاستقلال.